الفصل الثامن

اغتيال راسبوتين

لم يبق إلا اللمسات الأخيرة . تبلورت الفكرة وازدادت رسوخا ووضوحا . وبدأت خطوات التنفيذ تتوالى . وتم اختيار الشركاء . ولم يبق إلا اللمسات الأخيرة . لم يبق إلا تنفيذ الخطة فى الواقع الفعلى لاغتيال راسبوتين. ويالها من خطة كان مخططوها ومنفذوها يعرفون جيدا أن ست خطط لاغتيال راسبوتين قد فشلت من قبل على الرغم من أنه قد اضطلع بتنفيذ المؤامرة الأولى أحد أصدقاء راسبوتين المقربين فى أول خطة فاشلة لاغتياله ، وعلى الرغم من إخفاق خطط وزير سابق للداخلية فى اغتيال الفلاح . وإدراكا لصعوبات التنفيذ عكف الأمير فيلكس وشركاؤه فى المؤامرة على دراسة كل شيء قبل وأثناء وبعد تنفيذ خطة الاغتيال الرهيب لو نجحت الخطة وتم الاغتيال ، أمَلُ روسيا المنشود للتخلص من فساد الدولة وشرور راسبوتين ، الفلاح سَبَبُ كل المصائب ، وأسُّ الفساد فيما كان يعتقد معظم أبناء الشعب الروسى آنذاك .

ولم يستغرق تنفيذ الخطة أكثر من ثلاثة أسابيع بعد خطبة بيورقيتش فى الدوما يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٦ . لقد تكون حِلْفٌ ضد راسبوتين من مختلف قطاعات الدولة . كان الأمير فيلكس يوسوبوف يمثل الأرستقراطية الروسية . وكان الدوق الكبير ديمترى باڤلوڤيتش Grand Duke Dimitri Pav-lovich يمثل عائلة رومانوف الحاكمة ، وكان الليفتنات كولونيل سيكوتين Lievtenant Colonel Sukhotion الضابط فى الحرس القيصرى يمثل الجيش ، وبانضمام عضو الدوما بيوريڤيتش لهم وموافقته على خطتهم اعتبروا أن البرلمان الروسى سيصبح فى جانبهم أيضا ، وكانوا جميعا متفقين على أن اغتيال الفلاح هو مفتاح خلاص روسيا وإنقاذها من الهلاك . ولقد كان الدوق الكبير يؤكد للجميع أنه باشتراكه معهم وهو من أسرة رومانوف يكفل لهم الإفلات من أى محاكمة ، وبالتالى الإفلات من أى عقوبة إذ إن القانون الروسى كان

يمنع محاكمة ومعاقبة أى فرد من أسرة رومانوف أو أى شركاء له فى أى جناية أو مخالفة أمام المحاكم الخاضعة للسلطة القضائية فى الدولة على أن يتولى القيصر نفسه محاسبتهم وتقدير عقوبة من يستحق العقوبة منهم .

كان الأمير فيلكس يريد فى بداية الأمر أن يطلق الرصاص على راسبوتين داخل مسكن راسبوتين ، وبمناقشة شركائه له أوضحوا له صعوبات ذلك حيث إنه يوجد فى العادة كثير من الزوار فى مسكن راسبوتين بالإضافة إلى الخدم وأفراد الحراسة على باب مسكنه . ومن المستحيل أن يفلت فيلكس بسلام لو نجح فى إطلاق الرصاص على راسبوتين وقتله داخل مسكنه . ولقد كانت مخاوف المتآمرين من أن يعتبر القيصر نيقولا الثانى اغتيال راسبوتين عملا عدائيا موجها نحوه شخصيا مما لايدع مجالا للتسامح فى عقوبة القاتل أو تخفيفها عن الحكم بعقوبة الإعدام ، وهو مالم يوافق المتآمرون على أن يكون هو مصير الأمير فيلكس .

اتفقوا على أنه من الضرورى أن تكفل الخطة اختفاء راسبوتين وإخفاء جثته بحيث لا يعرف مصيره أحد . ولكن كيف يكون ذلك كذلك ؟

فكروا فى استدراج راسبوتين خارج مسكنه ، واغتياله وتشويه جثته وإبعادها إلى إحدى جبهات القتال بحيث يبدو الأمر كما لو كان جنود الألمان هم الذين اعتدوا على حياة راسبوتين ، عندما ذهب إلى خطوطهم لكى يعطيهم بعض المعلومات . وليحاكم القيصر جنود وضباط الجيش الألمان لو استطاع ذلك وهو المستحيل بعينه .

واقترح عضو البرلمان بيور يفيتش أن طبيبا من أصدقائه من الضرورى أن يشارك فى تنفيذ الاغتيال وهو الدكتور ستانسلايوس لازوفير Dr. Stinislaus Lazovert واقترح أن تسميم راسبوتين ربما كان طريقة أكثر أمنا من أى طريقة أخرى ، وفى هذا الصدد تكون مشاركة أحد الأطباء ذات جدوى .

وكان وجود رجال الشرطة حول منزل راسبوتين ورجال الشرطة الذين يتبعونه أينما ذهب تمثل مشكلة كبيرة أمام المتآمرين ، ولكن الأمير فيلكس أوضح لهم أنه يمكن له أن يتغلب على هذه الصعوبة عندما ينتهز ظروفا مواتية .

وتوجه الأمير فيلكس أيضا لاستطلاع رأى المحامى الشهير فاسيلى ماكلاكوف Vassili Maklakov فى محاولة اغتيال راسبوتين وإلى أى حد يمكن أن يعضدهم ويشترك معهم ، وماذا سيكون عليه موقفهم القانونى لو نجحوا فى اغتيال راسبوتين وتم القبض عليهم ، خصوصا أن المحامى ماكلاكوف كان عضوا فى مجلس الدوما أيضا ، وكان قد ألقى خطبة ملتهبة ضد راسبوتين ، ولكن ماكلاكوف عندما ذهب إليه الأمير فيلكس فى مكتبه وعرض عليه الانضمام معهم وطلب رأيه القانونى فى الموضوع غلبت طبيعة وروح القانون على رد المحامى . وبعد أن استمع إلى مجمل خطة الأمير فيلكس لاغتيال راسبوتين قال له وهو غاضب : «هل تظن أننى قد افتتحت مكتباً للقتلة الذين يغتالون الناس ؟ القتل هو القتل والاغتيال هو الاغتيال بصرف النظر عما إذا كان القتيل محبوبا أو مكروها من الناس . وكل من يرتكب جريمة يلزم أن يحاسب عليها أمام العدالة بموجب القانون . ضعوا هذه الحقائق فى اعتباركم ونصب أعينكم ، وهذا الإيضاح من جانبى هو أقصى ما أستطيع أن أقدمه لمساعدتك ، ويمكنك أن تضيف إلى ذلك أننى سأعتبر أننى لم أسمع منك أى كلمة بشأن هذا الموضوع . إننى أحذركم أيضا من أن تستأجروا قاتلا لأنه سيأخذ من راسبوتين لو أفشى السر إليه أضعاف ما يأخذه منكم . قوموا أنتم بأنفسكم بالعملية لو شئتم واستطعتم . وفى إطار الإجراءات القانونية المتاحة لى عند اللزوم لن أبخل عن مساعدتكم فى هذا النطاق القانونى وحده . ولو احتجتم لأى استشارة قانونية تجعل موقفكم القانونى أفضل تعال وسأتعاون معكم فى هذا النطاق . ومبدئيا يلزم التمويه بحيث تبتعد عنكم الشبهات . لو أنجزتم عملية الاغتيال ، بادروا إلى الاتصال بأحد المطاعم التى يتردد عليها راسبوتين واسألوا ما إذا كان قد وصل . وأكدوا أن وصوله إلى المطعم كان مقررا متفقا عليه معه فى وقت يسبق موعد مقتله بقليل لتبدو المسألة كما لو كان راسبوتين قد خرج فى طريقه إلى المطعم ثم حدث له عرضا ما حدث . مع عدم اطلاع من يتلقى المكالمة فى المطعم على أشخاصكم الحقيقية ، بل يلزم إعطاؤه أسماءً وهمية ليبحث رجال الشرطة عن أشخاص وهميين ربما يعتقد الناس أنهم هم قتلة الفلاح» .

وقبل أن يغادر الأمير فيلكس مكتب المحامى ماكلاكوف أعطاه ماكلاكوف لفافة تحوى كمية من سم السيانيد وقال له . «خذ هذه اللفافة وبداخلها سم السيانيد ، ربما تحتاج إليها» . ويذكر الأمير فيلكس أيضا أن النائب بيوريفيتش كان قد أعطاه أيضا كمية أخرى من سم السيانيد وهو يقول : «ضع فى اعتبارك قوة جسم الفلاح . لن يموت بسهولة» .

وتبلورت خطة الاغتيال فى أن يدعوه الأمير فيلكس إلى قصره ، قصر مويكا Moika وتقديم طعام ومشروبات إليه بعد أن يكون قد دسوا له السم فى الطعام والشراب .

كيف سيتم استدراج راسبوتين إلى قصر مويكا . إن الأمير فيلكس هو الذى يذهب إلى راسبوتين فى مسكنه ؟ اقترح الأمير فيلكس أن يعرض على راسبوتين أن يحضر إليه فى قصر مويكا لأن زوجة الأمير فيلكس ، الأميرة إيرينا بحاجة ماسة إلى أن يعالجها راسبوتين من مرض ألم بها . وليس من المعقول أن تذهب الأميرة إيرينا إلى مسكن راسبوتين فهى ترفض ذلك بشدة ، فليتفضل راسبوتين بالمجىء إليها فى قصرها فى حين تكون الأميرة بعيدة عن القصر .

الطعم جيد ... ولا ريب أن راسبوتين سيوسع نطاق شهرته فى علاج أفراد أسرة يوسوبوف رجالا ونساء . وناقشوا بعد ذلك المكان الذى يستقبلون فيه راسبوتين . بالقصر ، قصر مويكا أجنحة كثيرة ... ولكن توجد فى مواجهة القصر مباشرة نقطة شرطة . يلزم أن يكون مكان استقبال راسبوتين فى جناح شرقى من القصر أبعد ما يكون عن نقطة الشرطة ، وبحيث لا يكون للخدم أى وجود فيه . ومن الأفضل أن يتم اللقاء مع راسبوتين فى الطابق الأرضى من الجناح الشرقى فى قصر مويكا .

وعندما طلب الأمير فيلكس من راسبوتين أن يتفضل بزيارته فى قصر مويكا، فوجئ الأمير فيلكس بموافقة راسبوتين على ذلك ، وفوجئ أن راسبوتين قد عرض عليه فكرة أن يأتى فيلكس بسيارته إلى خلفية منزل راسبوتين عند منتصف الليل حتى لا يراه الحراس على أن ينزل راسبوتين ويركب السيارة من الباب الخلفى لمنزله . وكان سرور فيلكس كبيرا أن يهتم راسبوتين نفسه بتوفير السرية للزيارة المرتقبة إلى قصر مويكا .

وعندما اقترب موعد الزيارة المرتقبة كان راسبوتين يقول إنه يشعر أن حياته فى خطر ، وعندما زار راسبوتين القيصر وطلب منه القيصر أن يباركه كالمعتاد من قبل ، لم يباركه راسبوتين وقال له : «باركنى أنت» وعندما عاد إلى منزله أسرع بكتابة رسالة إلى القيصر جعل عنوانها هو : «روح جريجورى إفيموفيتش راسبوتين من قرية بوكروفسكوى» وكان نص الرسالة كما يلى :

«أنا أكتب وأترك ورائى هذه الرسالة بجهة سان بطرسبرج . إننى أشعر أننى سأفارق الحياة قبل بداية شهر يناير . وأنا أرغب فى أن يكون معلوما لدى الشعب الروسى ، ولدى رأس الكنيسة الأورثوذكية الروسية ، ولدى أمنا العزيزة روسيا ، ولدى كل أطفال روسيا ، ولدى كل أبناء الله ، ولدى كل ذرة من تراب الأرض الروسية ، أرغب أن يكون معلوما لديهم كل ما يلزمهم أن يعرفوه: لو أننى تم اغتيالى على أيدى قتلة من عامة الشعب وعلى وجه التحديد، لو تم قتلى على أيدى إخوتى الفلاحين الروس ، فأنت أيها القيصر الروسى نيقولا الثانى لن يصادفك شىء تكرهه أو تخشاه ، ستبقى على عرشك لتستمر فى الحكم . ولن يكون لديك أيها القيصر ما تخشاه أو تخافه بالنسبة لأولادك وأحفادك . ستظل مقاليد حكم روسيا فى أيديهم مئات السنين . ولكن لو أننى قتلنى غلمان الطبقة الأرستقراطية فى روسيا boyars of the nobles ولو سفكوا دمى فإنهم لن يتمكنوا من أن يغسلوا أيديهم من دمى طوال خمسة وعشرين عاما . سيتحتم عليهم أن يغادروا روسيا . وسيقتل الأخ أخاه . وسيقتل بعضهم بعضا . وبعد خمسة وعشرين عاما لن يكون نبلاء فى روسيا ... يا قيصر الأراضى الروسية : عندما تسمع صوت أجراس الكنائس معلنة أن جريجورى قد اغتيل فمن الضرورى أن تعرف هذا الذى أعلنه لك : لو أن أحد أقاربك هو الذى تسبب فى قتلى ، لا أحد من أولادك ولا من أقاربك سيظل حيا بعد عامين من مقتلى . سيغتالهم الشعب الروسى ... سأكون أنا قد قتلت ... لن أكون أنا بين الأحياء .. صلوا من أجلى .. صلوا من أجلى ... اشدد من أزرك وفكر فى أبناء عائلتك المباركة» .

جريجورى

انتهت رسالة راسبوتين العجيبة وتركها وراءه ومضى ... وهذه الرسالة تدل دون ريب فى ضوء معرفتنا بالأحداث اللاحقة لها - على أن راسبوتين - لو صحت نسبة الرسالة إليه باعتبار أنه كاتبها وهو مالا يوجد أى داع للشك فيه - كان يمتلك قوة روحية خارقة للعادة .

وليس امتلاك شخص ، أى شخص ، لقوة روحية خارقة للعادة شأنا مستغربا أو مستحيل الوقوع . وليس امتلاك شخص لقوة روحية خارقة للعادة بحد ذاته هو المهم ، ولكن المهم هو : إلى أين تتجه هذه القوة الروحية الخارقة للعادة ، وكيف يوجهها صاحبها ؟ هل يوجهها إلى الخير لمنفعة الناس أم يوجهها إلى الشر لإلحاق الضرر بالناس على نطاق يتسع أو يضيق حسب الأحوال والملابسات ؟

إن شأن القوة الروحية الخارقة للعادة مثل شأن مختلف القوى التى يمكن أن يحظى منها إنسان أو الآخر بقدر مقدور له مثل «الذكاء» على سبيل المثال لا الحصر . لو افترضنا أن شخصا قد وهبه الله قدرة خارقة للعادة من حيث «الذكاء» يغدو السؤال المهم هو : هل يوجه هذا الشخص الشديد الذكاء ذكاءه فى اتجاه الخير للناس أم فى اتجاه الشر الذى يلحق بالناس من جراء شدة ذكائه؟ ولا جدال فى أن البون شاسع بين أن يستخدم الشخص الذكى ما وهبه الله من ذكاء لخير الناس وصالحهم ، أو يستخدمه لإيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم . وينبغى أن يكون هذا هو شأن من حباه الله بقدرة روحية خارقة للعادة . ينبغى أن يستغلها لخير الناس ولمنفعة الناس ، ولا ينبغى أن يستغل قوته الروحية فى تحقيق ملذاته وإشباع شهواته وإلحاق الضرر والأذى بالناس مستخدمًا قُوَّته الروحية الخارقة للعادة على وجه غير لائق وغير مفيد للناس كما هو معروف ومشهور عن راسبوتين . سحْقًا لقوته الروحية الخارقة للعادة مادام قد وجهها نحو تحقيق الملذات لنفسه ، ووجهها نحو إشباع شهواته فى الحصول على المال ، وعلى اللذات الجنسية القصيرة المدى مع النساء مخالفاً بذلك ما شرعه الله من نظام وأحكام فى هذا المجال وهو يزعم أنه رجل دين مبارك ويتمسح فى عتبات رجال

الدين محاولا أن يندس فى زمرتهم ويظهر بمظهرهم مرتديا مسوحهم وقد وضع صليبا كبير الحجم يتدلى من سلسلة طويلة لا يظهر بين الناس بدونه . أساء راسبوتين دون ريب استخدام قواه الروحية الخارقة للعادة لو سلمنا جدلا أنه كان يمتلك قدرا منها .

وبدون وجود وجه أو داع للمقارنة ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأنبياء والرسل وفطر قواهم الروحية والنفسية فطرة تؤهل كلا منهم لتلقى وأداء الرسالة الإلهية . ولكننا نجد أن الأنبياء والرسل عليهم السلام بنقاء فطرتهم وجبلاتهم التى فطرهم الله وجبلهم عليها قد كرسوا كل مزاياهم الروحية لخدمة البشرية وهدايتها إلى الطريق المستقيم فى الحياة ، ليحققوا للناس السعادة والخير فى الدنيا والآخرة ، وخلفوا وراءهم الكتب المقدسة والشرائع السليمة لهداية الناس.

وعندما نضع مثل هذا التصور فى اعتبارنا ونسأل : ماذا ترك راسبوتين مع افتراض امتلاكه لقوة روحية خارقة للعادة وراءه بعد اغتياله ؟ سنجد أن راسبوتين قد خلف وراءه بعد اغتياله كثيرا من الفضائح من جراء تكريسه لكل قواه خارقة أو غير خارقة لتحقيق شهواته وملذاته لكسب ، ولاقتراف العديد من ممارسات الزنا مع نساء أجنبيات مخالفا بذلك الشرائع الإلهية الصحيحة ، وحاقت به شروره وآثامه فتم اغتياله على نحو لم يصادفه غيره من الناس الذين تعرضوا للاغتيال ، ولا ريب أن تفاصيل اغتياله تدل أن عذابه أثناء عملية قتله يفوق كل عذاب يتعرض له إنسان تعرض للاغتيال . ولقد لقى راسبوتين بالفعل ما يستحقه من عذاب دنيوى .

ولنمض الآن لنتتبع تفاصيل اغتيال راسبوتين لنجد أنها أبشع التفاصيل فى كل حالات الاغتيال على مدار تاريخ القتلة والقتلى ، وكأنما كان ما يحفل به جسده من قوة روحية خارقة للعادة – لو افترضنا وجودها – مدعاة لمزيد من عذابه أثناء وقوع أحداث اغتياله :

فى ظهيرة يوم الجمعة الموافق لليوم السادس عشر من شهر ديسمبر سنة

١٩١٦ ، وهو اليوم الذى اغتيل راسبوتين فى وقت متأخر من الليلة التالية له ، زارت الأميرة آنا ڤيروبوڤا Anna Virobova راسبوتين فى مسكنه ، وأهدت إليه أيقونة مرسلة إليه من القيصرة ألكساندرا . وأخبرها راسبوتين أنه كان سيذهب عند منتصف الليل إلى قصر مويكا ليقوم بعلاج الأميرة إيرينا زوجة الأمير فيلكس .

وعندما عادت الأميرة آنا ڤيروبوڤا إلى القيصرة ألكساندرا وأخبرتها أن راسبوتين أخبرها أنه كان سيذهب عند منتصف الليل إلى قصر مويكا ليقوم بعلاج الأميرة إيرينا قالت القيصرة ألكساندرا : «ولكن من الضرورى أن يكون فى هذه المسألة شيء ما غير معقول . إن الأميرة إيرينا ليست موجودة الآن فى قصر مويكا ، إنها فى كريميا Crimea هل ستصل إلى قصر مويكا عند منتصف الليل ؟ هل هى مريضة ؟ هذا شأن عجيب!»

وفى صباح يوم السبت الموافق للسابع عشر من شهر ديسمبر ١٩١٦ ، اتصلت ابنة راسبوتين بقصر الإمبراطورة التى كانت لاتزال نائمة فردت عليها الأميرة آنا ڤيروبوڤا لتخبرها ابنة راسبوتين أن أباها راسبوتين غادر المنزل فى سيارة الأمير فيلكس يوسوبوف ولم يعد إلى المنزل حتى طلوع النهار وأنها منزعجة لتأخره على ذلك النحو على غير عادته» . كان راسبوتين يخرج من مسكنه فى أى وقت من الليل ويعود قبل طلوع النهار، وفى هذة المرة لم يعد بعد طلوع النهار. ولابد أن فى الأمر شيء . وطلبت ابنة راسبوتين أن تتدخل القيصرة لاستجلاء هذا الشأن الغريب الذى حدث لأول مرة فى حياة راسبوتين.

وفى ظهيرة نفس يوم الجمعة ١٦ ديسمبر سنة ١٩١٦ كان الأمير فيلكس يوسوبوف قد طلب من الخدم أن يجهزوا عشاء يكفى لعدد ستة أشخاص سيتم تقديمه لهم عند منتصف الليل .

وفى الساعة الحادية عشر مساءً اطمأن الأمير فيلكس إلى أن الطعام جاهز، وأن الخمور معدة تمام الإعداد ، وأمر الخدم بالانصراف إلى مقر إقامتهم فى جناح آخر من القصر بحيث لا يأتى أحد منهم إلى جناحه الخاص ما لم يستدعه.

وبدأ المشاركون له فى المؤامرة يحضرون إلى قصر مويكا فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، وكان الأمير فيلكس هو الذى استقبلهم عند البوابة بنفسه وقادهم إلى الجناح الشرقى من القصر وعاينوا معه المكان ، وصعدوا إلى الطابق الأول فوق الطابق الأرضى مباشرة .

وقام الأمير فيلكس بتسليم الصندوق الذى كان يحوى كمية كبيرة من سم السيانيد إلى الدكتور لازوڤير الذى ارتدى قفازا من المطاط وطحن بللورات السيانيد وحولها إلى مسحوق ، وقام بدس مسحوق السيانيد فى الكعك وقطع الحلوى والفطائر ووضع كمية فى زجاجات من الخمر الفاخر ومن الخمر الذى ذكر الأمير فيلكس أن راسبوتين يفضله عن غيره وهو نبيذ الماديرا Madeire وقال الدكتور لازوڤير:«إن هذة الكمية من السم تكفى لقتل دستة من الرجال الأشداء» . وبعد أن انتهى من مهمته خلع القفاز وألقى به إلى نيران المدفأة ، وتصاعد الدخان ليملأ الحجرة ففتحوا النوافذ لمدة عشر دقائق ثم أغلقوها .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل يوم السبت الموافق للسابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩١٦ ، ارتدى الدكتور لازوڤير ملابس سائق سيارة ووضع على رأسه قبعة مما يرتديه السائقون . وارتدى الأمير فيلكس معطف من الفراء الثمين وقبعة تغطى معظم ملامح وجهه الرئيسية إلى حد كبير. وصعد بقية المتآمرين إلى الدور الأول فوق الأرضى ليستقروا فيه هذه المرة حتى يعود إليهم الطبيب والأمير فيلكس ومعهما الضيف المنتظر ، وركب الأمير فيلكس سيارة أبيه السوداء اللون يقودها له الدكتور لازوڤير، وشقت بهما السيارة ظلمات الليل .

ووقفت السيارة بجوار المبنى الذى يقيم فيه راسبوتين . وأحكم الأمير فيلكس وضع القبعة بحيث تخفى معظم ملامح وجهه ، ونزل من السيارة وصعد إلى مسكن الفلاح. وأسرع إليه البواب وسأله عمن يريد. وأجابه الأمير فيلكس أن لديه موعداً مع راسبوتين . وسمح له البواب بالدخول . وقرع الأمير فيلكس جرس الباب فقال راسبوتين :«من بالباب؟» ورد الأمير فيلكس قائلا: «أنا ياجريجورى إفيموفيتش. لقد جئت إليك لتأتى معى.»

وفتح راسبوتين الباب . ودخل الأمير فيلكس . ولاحظ راسبوتين اختفاء معظم ملامح وجه فيلكس تحت القبعة فقال له :«لماذا يبدو عليك كما لوكنت تخفى ملامح وجهك؟» فقال فيلكس:«ألم نتفق على أنه لاينبغى أن يعرف أحد أننا سنخرج سويا فى هذه الليلة؟» وقال راسبوتين : «صحيح. صحيح. أنا لم أنطق بأى كلمة لأى شخص فى المنزل» وكان راسبوتين كاذبا فى ذلك .

واستحث فيلكس راسبوتين أن يكمل ارتداء ملابسه بسرعة. وبحث راسبوتين عن نعليه ولم يعثر عليهما فى المكان المعتاد . وتمتم قائلا:«إنهم الأولاد . يخفون الحذاء ذا الرقبة حتى لا أخرج أثناء الليل . ولكننى سأعثر عليه . ها هو ذا . لقد وجدته وفشلت خطة الأولاد . وارتدى الحذاء ذا الرقبة فى قدميه . وساعده فيلكس فى ارتداء المعطف الطويل وهو يشعر بالأسف لاضطراره إلى قتله بعد قليل من الوقت كما كتب فيلكس فيما بعد فى مذكراته ، ولكنه تذكر شرور راسبوتين وقرر الاستمرار فى تنفيذ الخطة .

وغادرا مسكن راسبوتين ونزلا درجات السلم قاصدين إلى الباب الخلفى للمنزل ، وذهبا إلى السيارة حيث كان الدكتور لازوڤير ينتظرهما بداخلها . وبعد السير فى عديد من الشوارع حتى لايستطيع أى شخص من الحرس ملاحقتهم، وصلت السيارة إلى قصر مويكا.

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات ، سجل رئيس الحراسة على مسكن راسيوتين موعد وصول فيلكس وموعد مغادرته مسكن راسبوتين ، بل إنه تتبع السيارة التى ركبها فيلكس وراسبوتين حتى وصلوا إلى قصر مويكا ، وكان ذلك فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

ولم يكن فيلكس لديه إسطوانات للجراموفون الموجود بالمكتبة بالطابق الذى يعلو الطابق الأرضى إلا إسطوانة واحدة عليها أغنية يانكى دودل Yankee Doodle وكان من المتفق عليه أن يتم تشغيلها بصوت عال طوال وجود راسبوتين داخل القصر لإيهامه بوجود حفل صغير يشغل اهتمام الأميرة إيرينا فلا يستعجل مقابلتها له . وانطلقت أغنية «يانكى دودل» بمجرد مشاهدة أنوار السيارة فى طريق عودتها إلى قصر مويكا.

وعندما شاهد راسبوتين الحلوى والفطائر والكعك وزجاجات الخمر الموجودة على المائدة ، قال: «ما كل هذا ؟ وما هذه الموسيقى كلها؟ هل تقيمون حفلة ؟»

وقال الأمير فيلكس :« لا ، زوجتى تجلس مع بعض الضيوف فى الطابق الذى يعلو هذه الحجرة، وهى ستودعهم بعد قليل وتحضر معنا هنا »

وخلع راسبوتين معطفه الطويل ، وبدأ يفحص كل ما حوله باهتمام . وجلسا إلى المائدة فى وسط الحجرة الواسعة .

وذكر الأمير فيلكس فى كتابه المعنون بعنوان «**آخر صفحات المجد** LAST SPLENDER أنه – على سبيل الدردشة – كان قد سأل راسبوتين سؤالا هو : ياجريجورى إفيموفيتش. أنت رجل دين مبارك مملوء بالروح القدس . لماذا لاتغادر سان بطرسبرج بكل مشكلاتها وفضائحها ومشكلات الحياة السياسية فيها لتذهب إلى مكان بعيد متفرغا للمهام الدينية التى لاتمتزج أى امتزاج بالسياسة ومشكلاتها وأساليب ممارساتها اللأخلاقية الحقيرة؟» وردَّ راسبوتين على ذلك السؤال الحيوى المهم بقوله : لا يا فيلكس يوسوبوف . أنا لا أستطيع أن أغادر سان بطرسبرج إلى مكان آخر ، ولا أستطيع أن أعتزل العمل السياسى مع أننى رجل دين مسيحى ، لأننى قد أصبحت أهم جزء فى العمل السياسى فى روسيا ، ولا أستطيع أن أتخلى عن أناس فى الدولة هم عماد العمل السياسى فيها ! ويقول الأمير فيلكس يوسوبوف إن إجابة راسبوتين تلك قضت على آخر محاولة من جانبى للإبقاء على حياته .

وقَّدم فيلكس إلى راسبوتين كأسا من الخمر وشيئا يأكله فرفض . وتكررت محاولات فيلكس وتكرر رفض راسبوتين وحار فيلكس كيف يتصرف؟ صعد فيلكس درجات السلم الضيق إلى المكتبة حيث كان يجتمع المتآمرون معه وقال لهم : تخيلوا مجرد تخيل ياسادة ! الفلاح لايريد أن يأكل أو أن يشرب ! لا شىء يحدث بالطريقة التى نرغبها ، بالرغم من تكرار محاولاتى أن أجعله يتقبل كرم ضيافتى له ! وطلبوا منه أن يحاول مرة أخرى فهز فيلكس كتفه

ونزل وعاود المحاولات بتقديم قطعة من الكعك غير المسمم وأكل فيلكس واحدة ولكن راسبوتين رفض أن يأكل وردَّ قطعة الكعك إلى الطبق وهو يقول: «لا أريد أى شيء من هذا الكعك إنه حلو جدا».

وبعد قليل ، وبعد أن كان فيلكس قد مضغ وابتلع قطعة الكعك ، وأمسك راسبوتين بطبق الكعك غير المسمم فى يده، فانتزعه فيلكس من بين يديه وقدَّم له طبق الكعك المسمم وهو يقول :«لاهذا الكعك فعلا حلو جداً . خذ هذا الطبق به كعك فيه سكريات أقل »وأكل راسبوتين وفرح فيلكس . كان الدكتور لازوفير قد قال إن بضع الكعكات منه تقتل فى الحال ، ولقد ابتلع راسبوتين كل الكعك المسمم الموجود فى الطبق .. وبمرور الوقت لم يظهر أى تأثير للسم على الإطلاق ، وظل فيلكس يرقبه وهو يتكلم بكل سلاسة وهدوء.

واقترح فيلكس على راسبوتين أن يشرب بعض النبيذ الفاخر المعد خصيصاً لأبناء أسرة يوسوبوف . العنب بمزارعهم ، والعصير والتخمير فى مصنع الخمور المملوك لهم ، وهذه النوعية من الخمر بهذه الجودة لا تباع فى الأسواق ...إنها مخصصة لأفراد أسرة يوسوبوف وضيوفهم دون غيرهم من الناس . ورفض راسبوتين أن يشرب الخمر ولو كان معدا على وجه الخصوص لأفراد أسرة يوسوبوف ولو كان العنب مزروعا فى مزارعهم، ولو كانت صناعة الخمر قد تمت فى مصانعهم ! ولكن فيلكس وضع الزجاجة المسممة والكوب أمام راسبوتين ، وصب لنفسه كوبا من زجاجة غير مسممة وبدأ يشرب ...وبعد قليل ... وفجأة صب راسبوتين لنفسه كوبا من زجاجة الخمر المسموم وشربها مشفوعة بغيرها حتى شرب كل الخمر المسموم الموجود فى الزجاجة ثم قال : إنه يفضل خمر الماديرا Madeira الذى اعتاد أن يشرب منه فى منزله . وكان فيلكس يعرف هذه الحقيقة، وكان قد جهز زجاجة مسمومة من الماديرا فأحضرها وشرب راسبوتين كل ما فيها من خمر مسموم دون أن يتأثر بذلك ، وأخذ يبتسم ويحملق فى وجه فيلكس بنظرات تختلط فيها الصداقة بالعداء ، وظن فيلكس أن راسبوتين قد أدرك أنه تناول السم .

ووصف فيلكس فيما بعد هذه اللحظات فى أحد كتبه بقوله:«بدا لى كما لو كنا – راسبوتين وأنا – فى صراع رهيب لايساندنى فيه أحد من زملائى القابعين فى المكتبة بينما أتحمل أنا وحدى كل عبء المواجهة . وشعرت أنه لن تمر لحظة واحدة أخرى حتى تسحقنى ضربات راسبوتين المفاجئة لإدراكه أنه قد تجرع السم . ستكون ضربات وحش يائس من الحياة . وشعرت أن قدارتى فى السيطرة على كل كيانى تنهار فجأة بين جوانحى ، وشعرت كما لو كنت قد دخلت فى صميم الغيبوبة .

وقررت ضرورة أن أتخلص من هذا الانهيار المفضى إلى الغيبوبة بأقصى سرعة وإلا أصابنى الانهيار الفعلى لامحالة» .

وتمالك فيلكس بصعوبة نفسه ليقول: «سأصعد لأرى ما إذا كانت إيرينا يمكن لها أن تأتى هنا أم أنها لاتزال مشغولة بضيوفها» وابتسم راسبوتين وأومأ برأسة موافقا وعندما وصل فيلكس إلى رفاقه بالمكتبة كان يبدو أمامهم شاحب اللون منهار القوى ، وانفجر يهمس لهم قائلا:«لا هذا مستحيل! تصوروا مجرد تصوُّر ياسادة ! أكل كثيرا من قطع الكعك المسموم وشرب زجاجتين من الخمر المسموم كما تعلمون ..... ولم يحدث أى شىء !.... لم يحدث له أى شىء إطلاقا : أين السم يادكتور لازوڤير؟ لماذا لم يظهر له أى أثر ؟ (*) لقد مضى على تجرعة كل كمية السم الذى قلت لنا إنه يكفى لموت دستة من الرجال الأشداء أكثر من ربع ساعة دون أن يبدو عليه أى أثر ....أنا لا أعرف ما يجب أن أفعله بعد كل هذا الذى فعلته» .

وقال له عضو البرلمان بيوريفيتش : «عد إليه ... من الجائز أن يحدث السم مفعوله بعد قليل ... ولو تحققنا ألا فائدة من السم ، عد إلينا بعد خمس دقائق فقط وسنرى ما نفعله لنقضى على حياتة» .

وعاد فيلكس إلى الدور الأرضى ووجد أن عقارب الساعة تشير إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وقدَّم إلى راسبوتين كوبا من الشاى الساخن لعله يحرك مفعول السم وشربه راسبوتين بنهم وترحيب .. وازداد راسبوتين حيوية،

(*) من الممكن أن يكون جسم راسبوتين المشبع بالكحول هو السبب فى عدم تأثر راسبوتين بالسم (المؤلف) .

وظل يبتسم .. وقام من مقعده .. وأمسك بآلة الجيتار .. وطلب من فيلكس أن يعزف على الجيتار وأن يغنى له .. ورفض فيلكس أن يعزف أو أن يغنى .. وألح عليه راسبوتين ، وعزف له فيلكس على الجيتار وغنى له أغنية .. ولما انتهى من الأغنية والعزف ، قال له راسبوتين : «غناؤك جميل . غَنّ لى أغنية أخرى ..» واستمر العزف على الجيتار والغناء حوالى نصف ساعة .. ومل فيلكس العزف والغناء .. اعتصره القلق ..وسيطرت عليه الحيرة .. وترك الجيتار من يده فجأة .. وأسرع يصعد درجات السلم الضيق دون استئذان من راسبوتين ليجد الدكتور لازوڤير يخبط كفا بكف ويكاد يفقد أعصابه ...وكان قد أغمى عليه أثناء سماعه عزف فيلكس على الجيتار وغناءه .. وكان فيلكس أيضا يبدو أمامهم كما لو كان مصابا بالهيستيريا ... وأعلنهم أنه لا يستطيع أن يستمر فى هذه الحالة أكثر من ذلك .

وعندئذ قال الدوق الأكبر ديمترى :«آه، حسنا، من الأفضل أن ننسى الموضوع برمته الليلة ، ولندعه يذهب إلى حال سبيله ليموت أو يظل على قيد الحياة .. وربما نستطيع أن نحاول معه مرة أخرى لو لم يحدث السم مفعوله على مدى أطول» .

وصاح عضو البرلمان بيوريفيتش يقول بطريقته الخطابية المألوفة عنه : «كلا لن يكون هذا أبدا.. ياصاحب السمو ، ألا تدرك أنه لو أفلت هذه المرة سيكون قد أفلت إلى الأبد؟ هل تظن أنه سيدخل قصر آل يوسوبوف مرة أخرى لو عرف أنه كان قد تجرع السم بداخله ؟راسبوتين لايمكن ولايجب ولايجوز أن يغادر هذا المكان حيا على الإطلاق!»

وسأله الدوق الكبير ديمترى :« وماذا يمكن لنا أن نعمله إذن ؟» فقال بيوريفيتش على الفور :«إذا كان السم لم يعمل عمله فيجب أن تؤدى أيدينا عملها . يجب أن نخنقه بأيدينا حتى يموت بأيدينا » والتفت إلى فيلكس وقال له: «إما أن تستطيع أن تعمل هذا العمل وحدك ، وإما أن أنزل إليه أنا لأعمل هذا العمل وحدى» .

وبعد مشاورات قصيرة قرروا أن ينزلوا كلهم إليه ليقوموا بخنقه بأيديهم سويا.

وتقدمهم عضو الدوما بيورفيتش يهبط درجات السلم أمامهم ، وبعد أن نزل بضع درجات ربت الدوق الكبير على كتفه بإصبعه والتفت بيوريفيتش إليه وأشار بإصبعه إلى أعلى ، وعادوا أدراجهم إلى حجرة المكتبة وبمجرد أن وصلوا إلى المكتبة قال لهم فيلكس : «هل لديكم مانع أن أطلق عليه الرصاص سيكون هذا أبسط وأسهل وأسرع؟» ووافق الدوق الكبير ديمترى على الاقتراح بحماس شديد لإنهاء هذه اللعبة السخيفة المزعجة . وقال بيوريفيتش : «لا مانع . ولايهم من منا يقتله ، ولكن المهم أنه يلزم قتله دون أى احتمال للإخفاق فى قتله . ولا بد أن يتم قتله هنا فى هذه الليلة» .

لم يكن عضو مجلس النواب بيوريڤتيش خطيبا مُفَوَّهًا فحسب ، بل كان رجلا قوى البنية ، قوى الشخصية ، ثابت الجنان، قوى الإرادة إلى حد يكفى لمواجهة أصعب الظروف فى حياة البشر . ومد الأمير فيلكس يده إلى خصر الدوق الكبير ديمترى وانتزع منه مسدسه ماركة براوننج Browning ويبدو أن الأمير فيلكس كان يحرص على أن يحظى بمفرده بشرف اغتيال راسبوتين ... أخذ المسدس فى يده وهبط درجات السلم بكل ما يملك من عزيمة وإصرار .

وعندما نزل الأمير فيلكس إلى الحجرة، وجد راسبوتين جالسا إلى المنضدة وقد خفض رأسه ، ولكنه كان يتنفس بانتظام ، وظن فيلكس أن السم قد بدأ يسرى فى جسمه ليحدث مفعول وسأله : «هل تشعر بأى تعب؟» وأجابه راسبوتين : «نعم، وأشعر أن رأسى قد ازداد ثقلاً ، وأشعر أن معدتى تحترق .. أعطنى كأسا أخرى .. إنها ستجعلنى أشعر بالراحة» .

وأعطاه فيلكس كأسا أخرى من زجاجة مسمومة وهو يأمل أن تكون هذه هى الكأس المميتة التى تقتل الفلاح بهدوء دون حاجة إلى صوت دوى إطلاق الرصاص من المسدس.

وبدا أن الكأس الأخيرة قد أنعشت راسبوتين وأفضت إلى تحَسُّن حالته بالفعل إذ قال للأمير فيلكس : «لا أعتقد أن زوجتك الأميره إيرينا تحتاج علاجا... أنت تريد فى الحقيقة أن تأخذنى إلى ملهى ليلى ... هيا بنا نذهب

إلى ملهى ليلى يا فيلكس فلنكن مع الله بفكرنا ومع الناس بأجسادنا كما يقول أولئك الذين يبررون التهافت على اللذات الحسية السريعة الزوال» .

وقرر فيلكس عندئذ أن يشرع فى عمله المناط به . نظر فيلكس إلى أيقونة معلقة على الجدار يعلوها صليب من الذهب الخالص وأخذ يحملق فيها . وسأله راسبوتين :«لماذا لم تجب ؟ فيم تحملق ؟» وقال فيلكس : «أنا أحب هذه الأيقونة . تعال وتأملها ...ألا تبدو جميلة ؟ » وقام راسبوتين عن مقعده ، واتجه نحو الجدار وأخذ يحملق بدوره فى الأيقونة وتراجع فيلكس قليلاً إلى الوراء ... وقال راسبوتين :«كم دفعتم ثمنا لها؟ إنها تساوى مبلغا كبيرا . مثل هذه الأشياء تجتذب خيالى إلى حدود بعيدة المدى» واستمر يتأمل الأيقونة . وقال له فيلكس وهو يقف وراءه وقد أمسك بالمسدس فى يده : «ياجريجورى إفيموفيتش... من الأفضل لك أن تصلى صلاتك الأخيرة» .

واستدارت نظرات عينى راسبوتين نحو فيلكس وإن لم يتغير اتجاه جسمه ، وبدا الاستسلام مرتسما فى عينى راسبوتين ... وأطلق فيلكس النار من مسافة قريبة جدا على ظهر راسبوتين فى الموضع المقابل لمكان القلب ... ودوى صوت انطلاق الرصاصة .. وبصيحة عالية سقط راسبوتين بكل جسمه فوق السجادة التى يغلب عليها اللون الأبيض ، ولدى سماع صوت انطلاق الرصاصة أسرع بقية المتآمرين يهبطون درجات السلم الضيق مندفعين إلى الطابق الأرضى. واصطدم أحدهم بمفتاح النور فانطفأ النور ، وأعاد أحدهم النور وشاهدوا الأمير فيلكس يقف بجوار جسم راسبوتين وقد انفجر الدم وسال من قميص راسبوتين وبدأ يلوث السجادة البيضاء . ولم ينطق أحد بكلمة بادئ ذى بدء .. واكتفى الأمير فيلكس بأن أشار بمسدسه نحو جسم راسبوتين وبعد قليل تبادل المتآمرون التهانى .. شعروا أنهم قد أنقذوا روسيا من كل خطر باغتيالهم راسبوتين وخرج ثلاثة أشخاص هم الدوق الكبير ديمترى والليفتنانت سيكوتين والدكتور لازوفير لكى يحرقوا معطف راسبوتين وقبعته وحذاءه فى مكان بعيد عن قصر مويكا .

وجلس عضو الدومابيوريفيتش فى المكتبة على أحد الكراسى وبدأ يدخن السيجار وصعد فيلكس إلى حجرة المكتبة .

وبعد قليل شعر فيلكس أن راسبوتين لا يزال حيا ، وأسرع يهبط درج السلم إلى حجرة الاستقبال وشرع فى تحريك جسم راسبوتين ، وأدار جسمه لكى يرى وجه راسبوتين وعينيه . وكانت دهشته بالغة عندما وجد أن راسبوتين قد فتح إحدى عينيه فجأة، وبعد ثانية واحدة فتح عينه الأخرى ، ووجه إلى فيلكس نظرة قوية مملوءة بالكراهية والعداوة ، وشعر فيلكس ببرودة الدم فى عروقه ... وأراد أن يجرى بعيدا عن راسبوتين ولكن ساقيه رفضتا أن تطاوعاه ولم يستطع الأمير فيلكس أن ينبس ببنت شفة.

وبصيحة تشبه زئير الأسد نهض راسبوتين واقفا على قدميه وهو يحرك ذراعيه فى الهواء ويحملق بعينيه فى الفضاء وقد انبثق خط من الدم من بين شفتيه وهو يصيح : «فيلكس.. فيلكس ...» واقترب راسبوتين من قاتله... وأمسك به بين ذراعيه ، ويقول الأمير فيلكس يوسوبوف فى وصف هذه اللحظات بعدئذ : «وعرفت عندئذ من هو راسبوتين . عرفت أنه الشيطان مُجَسَّدًا وتأكدت أنه لن يتركنى أفلت من بين ذراعيه إلا جثة هامدة» .

وإزاء هذا الخطر المميت ، استجمع الأمير فيلكس كل قواه ، ودفع راسبوتين بعيدا عنه .. واستطاع أن يفلت من بين ذراعيه بصعوبة بالغة .. وسقط راسبوتين على الأرض مرة أخرى .. وجرى فيلكس نحو السلم المفضى إلى المكتبة .. وكان راسبوتين يحبو على يديه وركبتيه متحركا بسرعة وراءه يشق طريقه نحو السلم كالوحش الجريح عندما يهاجم من أطلق عليه الرصاص .

وكان عضو البرلمان بيوريفيتش لا يزال جالسا فى المكتبة يدخن السيجار عندما سمع صيحة راسبوتين الرهيبة تشق عنان الفضاء من الطابق الأرضى. ودخل عنده الأمير فيلكس وهو يقول: «بيوريفيتش ، أطلق الرصاص ! أطلق الرصاص! إنه لايزال حيا ! إنه يحاول الهرب ! » كان وجه الأمير فيلكس قد أصبح شديد البياض من الفزع ، وكانت عيناه تكادان تقفزان من محجريهما ، وشرع هو نفسه فى الهرب إلى جناح آخر من القصر وأمسك عضو البرلمان بيوريفيتش بمسدسه وانتظر صعود راسبوتين درجات السلم ، ولكنه سمع صوت باب حجرة الاستقبال يفتح، وأدرك أن راسبوتين يحاول الهرب خارج القصر

فأسرع ينزل السلم ، ووجد باب حجرة الاستقبال مفتوحا بالفعل فخرج إلى الحديقة ليشاهد راسبوتين يمشى وهو يتمايل ويقول : «فيلكس .. فيلكس... أنا سأخبر تسارينا ألكساندرا بكل شيء ...»

وصوب بيوريفيتش مسدسه نحو راسبوتين وأطلق الرصاص ومزق دويٌّ صوت الرصاص سكون الليل ولكن راسبوتين واصل الحركة نحو بوابة القصر الموجودة فى السور الخارجى للقصر . كانت الرصاصة لم تصبه ... وأطلق بيوريفيتش رصاصة أخرى وأخطأ الهدف مرة أخرى .. وكان راسبوتين قد وصل إلى البوابة الأن .. وبعد ثوان قليلة سيكون مطلق السراح .واستجمع بيوريفيتش قواه ودقق فى التصويب نحو الهدف .. وأطلق رصاصة أخرى... وأصابت الرصاصة الأخيرة راسبوتين فى ظهره ، وأعقبتها رصاصة أخرى أصابت رأسه...وأسرع ببوريفيتش يجرى نحوه وركله بقدمه فى رأسه...ولم يبد الفلاح أى حركة... ونظر نحوه بيوريفيتش ..ثم توقفت حركة عينيه ، وتوقفت الحركة فى كل جسمه.

وأراد بيورفيتش أن يسحب جثة راسبوتين إلى داخل القصر ، ولكنه وجده أثقل من أن يستطيع أن يجره بمفرده، ولمح حارسين وقد اقتربا من بوابة السور المفتوحة ودخلا حتى وصلا إلى مكان بيوريفيتش الذى بادرهما قائلا : «يا أولاد.. أنا قد قتلت جريشكا (*) راسبوتين عدو روسيا وعدو القيصر» .

وتقبل الحارسان النبأ تماما كما كان بيوريفيتش يأمل بكل الفرح والسرور وهما يقولان : «حمداً لله . لقد حان الوقت أخيرا.»

وعندئذ قال لهما بيوريفيتش : « أيها الصديقان .. الأمير فيلكس يوسوبوف وأنا نعتمد كل الاعتماد على أن تلزما الصمت التام . أنتما تعرفان أنه لو تم اكتشاف قتلة راسبوتين فالقيصرة ألكساندرا لن تقدم لهم التهانى . هل يمكن أن تلزما الصمت التام ؟» وقال الحارسان: «ياصاحب السمو! نحن روسيان . لاتنزعج بشأننا . لن نخونكم أبدا.» واحتضن بيوريفيتش الحارسين الواحد منهما بعد الآخر وطبع قبلة على جبين كل منهما .

(*) جريشكا : هو اسم التدليل للشخص الذى اسمه جريجورى .

وطلب منهما أن يساعداه فى سحب جثة راسبوتين إلى داخل حجرة الاستقبال.

وبحث بيوريفيتش عن الأمير فيلكس ولم يعثر له على أثر ... ولقد ذكر الأمير فيلكس أنه كان قد خرج من القصر لينتظر خروج راسبوتين منه لكى يحاول قتله فور خروجه من البوابة ... وسمع الأمير فيلكس وهو خارج أسوار القصر المزيد من طلقات الرصاص داخل القصر ... ولم يخرج راسبوتين بطبيعة الحال من القصر ... ودخل الأمير فيلكس إلى القصر ومشى فى الحديقة وهو يتبع خط الدم النازف من جثة الفلاح حتى باب حجرة الاستقبال فوق الثلج .

وقبل أن يدخل فيلكس حجرة الاستقبال لمح شرطيا يدعى « فلاسيوك S.F.Vlasyuk» يدخل من البوابة المفتوحة فى السور ، وأسرع الأمير فيلكس لمقابلة الشرطى عند البوابة وبادره الشرطى قائلا: « ياصاحب السمو ! لقد سمعت صوت إطلاق رصاص . هل حدث شىء ؟» فقال له الأمير فيلكس : « لا، لم يحدث شىء مهم . إنه شىء يتسم بالغباء . كان عندى ضيوف وكان أحدهم مخموراً فأطلق الرصاص فى الهواء وأحدث كل هذه الضجة ولو سألك أحد عنها يمكن لك أن تؤكد له أنها لاشىء» .

ودخل فيلكس إلى حجرة الاستقبال فوجد بيوريفيتش والحارسين وضعا جثة راسبوتين فوق البلاط فى مكان بعيد عن السجادة ، فصعد إلى المكتبة وهو يردد كلمات راسبوتين الأخيرة بطريقة هستيرية «فيلكس .. فيلكس..» وصعد وراءه بيوريفيتش وقال فيلكس : «لم يمت لقد عاد إلى الحياة مرة أخرى» .

فقال بيوريفيتش : « تعال معى وتحقق بنفسك من موته» ونزلا درجات السلم... وقال فيلكس « سيتحرك من جديد... وأمسك عصا من الحديد الملفوف بالجلد ... وأخذ يضرب بها رأس راسبوتين ووجهه بشدة، وكان الدم ينبثق من رأس راسبوتين ووجهه وتسيل قطرات من الدم إلى الجدار القريب من

جثة راسبوتين وفيلكس يقول : « ألم أقل لكم إنه لايزال حيا؟ من أين ينبثق كل هذا الدم ؟» وأخيرا ، مع توالى الضربات الشديدة على الرأس والوجه كف الدم عن الانبثاق ، وهدأ فيلكس وأغمى عليه . وحملوه إلى أريكة أرقدوه عليها. ووصل إلى حجرة الاستقبال أحد رجال الشرطة ونقر على بابها وخرج إليه بيوريڤيتش وقال له : «أنت الضابط الذى تحدث إلى الأمير فيلكس منذ قليل؟» فقال الضابط : «نعم أنا» وقرر بيوريڤيتش أن يكون صريحا وواضحا معه فقال له: «تعال . ادخل ، هل تعرفنى ؟» فقال الضابط : «نعم، أعرفك» فقال: «من أنا ؟» وقال الضابط : «عضو الدوما ڤلاديمير متروڤانوڤيتش بيوريڤيتش وأشار بيوريڤيتش نحو فيلكس وقال له : «هل تعرف هذا السيد ؟» فقال الضابط : «نعم ، أعرفه» فقال بيوريڤيتش : «من هو؟» فقال الضابط : « إنه صاحب السمو الأمير فيلكس يوسوبوف» . وعندئذ قال بيوريڤيتش :

«هذا صحيح . والآن استمع أيها الأخ جيدا لما أقوله لك وأجبنى بصراحة : هل تحب قداسة القيصر؟ وهل تحب أمنا روسيا ؟ وهل تحب أن تنتصر جيوش روسيا فى الحرب ضد الأعداء؟» وقال الضابط : «طبعا ياصاحب السمو . أنا أحب القيصر وأحب روسيا وأحب أن تنتصر جيوشنا على الأعداء» .

وقال بيوريڤيتش : «هل تعرف أخبث أعداء القيصر وأخبث أعداء روسيا الذى يعوق المجهود الحربى للجيوش الروسية ، ويسيطر سيطرة مدمرة على القيصرة ألكساندرا؟» فقال الضابط : «نعم ، أعرفه ، أنه هو جريشكا راسبوتين»

قال بيوريڤيتش : «حسنا ، لم يعد موجودا على قيد الحياة – قتلناه. كان هو الرجل الذى كنا نطلق عليه الرصاص منذ قليل كما سمعت ... ولكن لو سألك أى شخص تستطيع أن تقول إنك لم تشاهد أى شىء غير عادى ولم تسمع أى شىء . هل يمكن لك أن تهدأ وألا تخوننا ؟» .

وقال الضابط ببطء : « لوكان الأمر كذلك ياصاحب السمو أستطيع ذلك لو لم أكن تحت القسم . أما لو أننى سئلت وأنا تحت القسم فإننى سأكون مضطرا أن أقول الحقيقة . إنها خطيئة أن أكذب وأنا تحت القسم» .

وبهذه الكلمات غادر الضابط فلاسيوك حجرة الاستقبال وخرج من قصر مويكا . وخلال هذا الحوار كان الحارسان منهمكان فى لف جثة راسبوتين فى الملاءة وربطها بالحبال . وبعد أن فرغا من تلك المهمة أمرهما بيوريڤيتش أن ينظفا بقع الدم من فوق الأرضية ومن سطح الجدار تماما ، وجلس على كرسى بالقرب منهما ينتظر عودة رفاقه الذين كانوا قد ذهبوا لإحراق ملابس راسبوتين. وبعد قليل عاد إلى قصر مويكا الدوق الكبير ديمترى والليفتنانت سيكوتين والدكتور لازوڤير. وأخبرهم بيوريڤيتش بكل ماحدث فى غيابهم بما فى ذلك وصول الضابط والحارسين .واتفقوا جميعا على ضرورة إبعاد الجثة عن القصر بأسرع مما يمكن . وحملوا جميعا الملاءة الزرقاء التى كانت ملفوفة ومربوطة حول جثة راسبوتين إلى السيارة ووضعوها فوق المقعد الخلفى . وقاد الدوق الكبير ديمترى السيارة فى هذه المرة ، وجلس الدكتور لازوڤير الذى كان مضطرب الأعصاب مع بقية زملائه فى الزحام داخل السيارة.

ولاحظ بيوريڤيتش وجود حذاء راسبوتين وقبعته ومعطفه فى أرضية السيارة وسأل عن السبب فى عدم إحراق هذه الأشياء التى كان ثلاثة رجال قد مضوا خارج القصر فى وقت عصيب لإحراقها ، فقال له الدوق الكبير ديمترى : «استعصت على الإحراق بأكثر مما استعصى راسبوتين على القتل ! وعدنا بها لكى نلقيها مع جثته فى النهر!» .

وبعد قليل وصلت السيارة إلى نهر نيڤا Niva River المتجمد . وكان أحد الحراس ينام داخل كوخ قريب فتركوه نائما ، وأخرجوا الجثة من السيارة

وحفروا لها فى ثلوج النهر ودفنوها دون أن يربطوا فيها الأثقال الحديدية التى كان قد اشتروها وأعدوها فربطوا الأثقال فى ملابس راسبوتين ودفنوها فى حفرة أخرى . ولكنهم تركوا حذاء من زوج أحذية راسبوتين بجوار النهر، وعادوا بالسيارة إلى قصر مويكا فى حوالى الساعة الخامسة صباحا. وأخذوا يزيلون كل آثار الدم داخل غرفة الاستقبال وجمعوا الخدم الذين شاركوا فى التنظيف لكى يقسم كل منهم أنه لن يفشى السر .. وخرج الأمير فيلكس ليذهب إلى بيت حميه . وعاد كل واحد من المتآمرين إلى مسكنه وقال بيوريفتيش وهو يودعهم: «لم يرنا إلا من أقسموا أن لايفشوا سرنا» .